الفصل الثاني

الإضافات الناصرية لمفهوم القومية العربية وسماتها المميزة «تثوير القومية العربية»

مما لا شك فيه أن عبد الناصر بزعامته الكاريزمية أضاف عدة مضامين جديدة للمفهوم القومي ، وللقومية العربية ، وفكرة الوحدة العربية يمكن طرحها في التالي:-

١

المحتوى الثوري للقومية العربية

كان لثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ بزعامة قائدها ومفجرها دورًا كبيرًا في تثوير مفهوم القومية العربية باعتبارها ثورة شاملة تجاه أوضاع التخلف Under- Development والظلم الاجتماعي والاستعمار Colonialism ، ومن أجل التنمية Development والديمقراطية Democracy فقد استطاع جمال عبد الناصر تحويل الاتجاه القومي من مجرد عاطفة تجيش في الصدور ومشاعر فياضة لها طابع عاطفي إلى ثورة مستمرة لا تتوقف عن حدود الدعوة السياسية ؛ لأنه جعلها مرتبطة دائمة بتصفية الوحدة العربية ، والتقاء الشعوب

العربية عليها[1].

- فمن المعروف أن الدعوات الوحدويّة والدعوة القومية في القلب منها تتميز في الفترة التي سبقت العهد الناصري بأنها كانت أسيرة لشعارات عاطفية براقة تعتمد في الأساس على إثارة الأمجاد القديمة للعرب وانتصاراتها «الباهرة» دون تحليل موضوعي لواقع المجتمع العربيّ ومشاكله.. ومن هنا كانت الدعوة قاصرة على المطالبة بالاستقلال من الناحية السياسيّة فقط ، وكانت هذه الدعوة رغم مطالبتها بالاستقلال الوطني National Autonomy أسيرة للسيطرة الاستعمارية والهيمنة الإمبريالية ابتداء من الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ ، التي قامت بدعم من بريطانيا «العظمى» وتأييدها مرورًا بإقامة مملكة العراق والأردن ، وتبني الدعوى لإقامة الجامعة العربية[2]، والتي أنشئت بالفعل عام ١٩٤٥ برعاية بريطانية – كما يؤكد العديد من الباحثين العرب – حيث هدفت بريطانيا – من وراء ذلك إلى خلق نظام إقليمي متماسك تحت سيطرتها «مباشرة» بعد الحرب العالمية الثانية ، أي إن الهدف من إنشائها – برعاية استعماريّة – هو وأد وإجهاض الفكرة القومية الوحدوية ذاتها واحتوائها واستيعابها ضمن تقنينها الإقليمي ، وتكريس حماية التجزئة الاستعمارية للبلاد

(1) د. محسن خضر: الاتجاه القومي العربي في التعليم المصري – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص٤٦.

(2) محمد السعيد إبراهيم : الرؤية الناصرية للوحدة العربية في كتاب الحرية والديمقراطية وعروبة مصر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت/ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ، ص٢٠٦.

العربية[1].

- ومن ثمّ .. كانت مقومات الدعوة الوحدويّة في نظر عبد الناصر مختلفة عن سابقتها فهي دعوة حضارّية ، وإن الوحدة قضية تغيير اجتماعي سياسي ، وأن الوحدة عملية ثورية شاملة.

فالوحدة العربية إذن – وكما يؤكدها نضال الشعب العربي من أجلها – هي عملية ثورة شاملة تحدث كافة التغييرات المطلوبة في أبنية المجتمع العربي وهياكله السياسيّة والاقتصادية والاجتماعية ، لإقامة المجتمع الوحدوي ، الذي يرتكز على دعامتي الديمقراطية Democracy والاشتراكية Socialism[2].

(١) عبد الإله بلقزيز: الوحدة العربية اليوتوبيا والواقع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٩١، ص٣٤.

(٢) محمد السعيد إبراهيم: مرجع سابق ذكره ، ص٢٠٦.

٢
المحتوى الاجتماعي للقومية العربيّة

لعل الاتهام الأكبر للقوميّة من خلال الممارسة الناصريّة – عدا تجسيدها في دولة الوحدة – هو إضفاء البعد الاجتماعي على الاتجاه القومي ، فلم تعد حركة سياسيّة وفقط بل أصبحت معنية بتغيير وبناء المجتمع وبحاجات الجماهير .. إن الحركة القومية في الخطاب الناصري تتضمن ثلاثة أبعاد: ثورة قوميّة .. من أجل الوحدة.. وثورة وطنية من أجل الاستقلال Autonomy ، وثورة اجتماعية من أجل العدالة والاشتراكية Socialism[1].

– وكانت رؤية عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠) دائمًا تؤكد على أن أمل الوحدة بين شعوب الأمة العربيّة ، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا سبقته وتأكدت فعله آمال أخرى تفتح له الطريق ، وتمكن له ، وتخلق أنسب الظروف والملائمة له ، ولخص عبد الناصر هذه الآمال التي يجب أن تسبق قيام الوحدة في ركيزتين هما :

أولًا: مطلب الحريّة السياسيّة الذي يجب أن يسبق ويتأكد في كل بلد عربي ، قبل أن يصبح أمل الوحدة العربية مطروحًا.

وثانيًا مطلب الحرية الاجتماعية.. وهو يعني بالنسبة لأي شعب ، إنه يستطيع أنّ يقرر لنفسه ، وأن يسود مصيره[2].

(1) د. محسن خضر: الاتجاه القومي العربي في التعليم المصري ، ص٤٧.

(2) محمد السعيد إبراهيم : الرؤية الناصرية للوحدة العربية ، ص٢٠٤.

٣

المحتوى التحرري للقوميّة العربيّة

نظر جمال عبد الناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠ هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠م) إلى القومية العربيّة ضمن أطر ثلاثة تحريرية السمة : وطنية وقومية وإنسانية.. والقومية العربيّة بالنسبة لعبد الناصر معادية بالدرجة الأولى للاستعمار Colonialism والصهيونية Zionism وتمثل مفهوم الاستقلال عند عبد الناصر في ثلاثة مستويات.. وكان نضال عبد الناصر على المستويات الثلاثة نضالًا متداخلًا ومتماسكًا فكل مستوى عبر المستويين الآخرين بالتغذية الدافقة لحركته.. فأعداء القومية العربية في المفهوم الناصري ثالوث الاستعمار والرجعية العربية والصهيونية Zionism [1].

- فقد أدركت ثورة يوليو ١٩٥٢ بزعامة ناصر ، ومنذ قيامها أهمية توحيد النضال العربي من أجل تقرير القومية ، وتحقق وحدة العرب ، وكان عبد الناصر يرى ضرورة الوصول إلى جبهة عربية موحدة تقوم خطتها على حمل الأمة العربية على أن تدرك مدى قوتها وطاقتها وإمكاناتها .

- وحلل عبد الناصر القوة العربيّة فوجد أنها تكمن في ثلاثة عناصر بارزة يراها - فؤاد المرسي خاطر ، ونحن نتفق معه فيها - على هذا النحو :-

(1) د. محسن خضر : الاتجاه القومي العربيّ في التعليم المصري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٢، ص٤٨.

١- أن العرب يؤلفون أمة واحدة لها خصائص ومقومات وحضارة Civilization انبعثت داخلها الأديان السماوية (اليهودية/ المسيحية/ الإسلام)، ولا يمكن إغفالها في أي بناء فكري أو سياسي[١].

٢- الموقع الإستراتيجي للعالم العربي، وهو ملتقى طرق العالم، ويصل بين القارات الثلاث: أوروبا، وأفريقيا، وآسيا، وله خصوصية إستراتيجية في الموقع، والتباينات التضاريسية[٢].

٣- امتلاك القوة العربيّة للطاقة البترولية، وهو بذلك يجعل العالم العربي Arab World أول قوة اقتصادية – بترولية، ويحصل أيضًا – هذه الطاقة النفطية – كأحد الثوابت في الخصوصية الإستراتيجية العربية، على الرغم من إمكانية تعرض الاحتياطي من البترول للنفاد، أو الاستبدال بمصدر طاقة آخر في الاستعمال اليومي والصناعي الواسعين كالطاقة الشمسية أو الطاقة النووية.

- وقد ارتبط نضال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠م) القومي على الساحة العلمية بمنظور مفاهيم القومية .. فقد مر تطور عبد الناصر من قضية الوحدة العربية بعدة مراحل متداخلة، قد أوضحها عبد الناصر من خلال خطاباته، فكانت وحدة الصف العربي من عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٥٦، ومرحلة وحدة الهدف قبل وحدة الصف، وذلك من عام ١٩٥٧ – ١٩٦٣، ومرحلة ما بعد الانفصال ١٩٦٢ – ١٩٧٠.

---

(1) فؤاد المرسي خاطر: حول الفكرة العربية في مصر، ص١٩٦.

(2) د. علاء طاهر: الخصوصية الإستراتيجية للعالم العربي، الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٩٢، ص٣٥، وأيضا فؤاد المرسي خاطر في كتابه: حول الفكرة العربية في مصر، ص١٩٦.

- ومما لا شك فيه أن تجربة الانفصال عن سوريا عام ١٩٦١ كانت بارزة في إدراك عبد الناصر لمفهوم القومية العربية والوحدة، خصوصًا فيما يتعلق بتحديد إعداد الوحدة العربية، وبدأ يعي للخطر المحدق، والذي تشكله الرجعية العربية، إلى جانب الاستعمار Colonialism والصهيونية Zionism، ونقله هذا إلى وحدة الهدف بدلًا من وحدة الصف العربيّ.. فالوسيلة لا تنفصل عن الهدف والتضامن المرحلي ليس عوضًا أو بديلًا عن الاتفاق الغائي .. وترتب على ذلك التحول بأن تم تقسيم عبد الناصر للعالم العربي Arab World إلى قوى ثوريّة، وقوى رجعية، الأولى صاحبة المصلحة في تحقيق أهداف الحرية والاشتراكية والوحدة، والثانية معادية لتلك الأهداف[1].

(1) د. محسن خضر: الاتجاه القومي العربي في التعليم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٢، ص٥٢.